إعـــــداد : مديرية الدراسات الإستراتيجية
تاريخ النشر: 9 أيلول 2026
الرقـــــم : 45/ تغطية حرب 2026

اللوبي الإسرائيلي في الولايات المتحدة يخسر السيطرة على الخطاب لكن ليس على السياسة

الموضوع

رأي أستاذ العلاقات الدولية في جامعة شيكاغو الدكتور جون ميرشهايمر بتأثير اللوبي الصهيوني في الولايات المتحدة، ضمن حلقة على منصة يوتيوب نشرها في 9 أيلول 2026، قدّم فيها تقييمه لكتاب "لوبي إسرائيل: أميركا في قبضة قوة أجنبية" الذي صدر الشهر الماضي، للباحثين إيلي كليفتون وإيان لوستيك.

ترجمة النص

في حلقة اليوم أود أن أتحدث عن الكتاب الجديد حول اللوبي الإسرائيلي، من تأليف إيلي كليفتون وإيان لوستيك. عنوان الكتاب هو: «لوبي إسـرائيل: أميركا في قبضـة قوة أجنبية. أعتقد أن هذا كتاب مهم بحق، وآمل أن يذهب جميع المشاهدين لشراء نسخة منه وقراءتها بعناية شديدة. وهذا بالطبع موضوع قريب إلى قلبي، لأنني، إلى جانب ستيف والت، كتبت مقالًا وكتابًا عن موضوع اللوبي الإسرائيلي عامي 2006 و2007. فقد كتبنا أنا وستيف المقال الذي نُشر في London Review of Books عام 2006، ثم صدر كتابنا بالطبع، "اللوبي الإسرائيلي والسياسة الخارجية الأميركية"، عام 2007.

وما أود فعله هو أن أشرح لكم لماذا أعتقد أن الكتاب الجديد لإيلي كليفتون وإيان لوستيك مهم إلى هذه الدرجة، وسأفعل ذلك من خلال مقارنته بالكتاب الذي كتبناه أنا وستيف.. دعوني أبدأ بالحجج الأساسية. كلا الكتابين يجادل بأن هناك لوبي إسرائيلي يتمتّع بقوة كبيرة. ومن المهم جدًا التأكيد على أن مؤلفَي الكتابين بذلا جهدًا كبيرًا لتوضيح أن المقصود ليس «لوبيًا يهوديًا» بأي حال من الأحوال، بل «لوبي إسرائيلي.« فليس جميع اليهود، بأي معنى، أعضاء في اللوبي الإسرائيلي، كما أن اللوبي الإسرائيلي يضم بالطبع عددًا كبيرًا من غير اليهود، مثل الصهاينة المسيحيين على سبيل المثال. إذن نحن لا نتحدث عن «اللوبي اليهودي»، بل عن «اللوبي الإسرائيلي.«

أما الحجة التي طرحناها أنا وستيف، وهي حجتنا الأساسية، فكانت أن هذا اللوبي يضر بالسياسة الخارجية الأميركية. فهو سيئ من وجهة نظر استراتيجية، وسيئ أيضًا من وجهة نظر أخلاقية. وقلنا إنه في غياب هذا اللوبي، كانت الولايات المتحدة ستتبنى سياسة خارجية مختلفة جدًا، ولا سيما في الشرق الأوسط. لكننا لم نقل الكثير، في أعمالنا المكتوبة، عن أهمية اللوبي بالنسبة إلى "إسرائيل" نفسها، كما لم نتحدث كثيرًا عن أهميته بالنسبة إلى الجالية اليهودية الأميركية، ولم نقل الكثير، إن قلنا شيئًا أصلًا، عن التأثير الذي يمارسه اللوبي في الديمقراطية الليبرالية الأميركية أو في المؤسسات السياسية الأميركية.

لكن من المهم أن نفهم أن كتاب إيلي كليفتون وإيان لوستيك لا يجادل فقط بأن اللوبي يضر بالسياسة الخارجية الأميركية، بل يقول أيضًا إنه يضر بـــ "إسرائيل"، ويضر باليهود الأميركيين، والأهم من ذلك أنه يرى أن اللوبي بات اليوم في موقع يسمح له بتقويض الديمقراطية الليبرالية نفسها. إذن، الاتهام أو النقد الذي يطرحه الكتاب الجديد أوسع بكثير من ذلك الذي طرحه الكتاب الذي كتبناه أنا وستيف.

والآن، ماذا عن الإطار المفاهيمي الأساسي؟ كلما فكرت في اللوبي، عليك أن تفكر أولًا في تأثيره في الخطاب العام. والمقصود هنا الخطاب المتعلق بـــ "إسرائيل"، والخطاب حول العلاقة الأميركية ـــ الإسرائيلية، والخطاب حول اللوبي نفسه. إذن السؤال هو: كيف يؤثر اللوبي في هذا الخطاب؟ ثم هناك قضية السياسة الفعلية. والسؤال هنا هو: كيف يؤثر اللوبي في السياسة؟ وهذا سؤال مختلف عن سؤال: كيف يؤثر في الخطاب؟

كانت حجتنا عامي 2006 و2007 أن اللوبي قام بعمل بالغ الفاعلية في السيطرة، عمليًا، على الخطاب العام، أو إذا أردتم صياغة ذلك بطريقة مختلفة قليلًا، في «ضبط» الخطاب المتعلق بـــ "إسرائيل" ومراقبة حدوده. وقد وصفنا بالتفصيل الكبير كيف فعل اللوبي ذلك. وحاولنا تفسير النجاح الذي حققه حتى ذلك الوقت في إدارة الخطاب بطرق تخدم مصالحه ورؤيته. أما فيما يتعلق بالسياسة، فلم يكن هناك شك يُذكر في أن اللوبي كان يتمتع بقبضة شديدة على السياسة الأميركية في الشرق الأوسط. وهذا لا يعني أنه كان يحصل على ما يريد في كل مرة، لكنه كان ينجح في ذلك في معظم الأحيان تقريبًا.

وحتى عندما لم يكن يحصل على ما يريد، كان ينجح في كثير من الأحيان في إجبار الإدارة الأميركية على تغيير سياستها بما يتناسب مع "إسرائيل" ومع مطالب اللوبي. إذن، جوهر الحجة التي طرحناها أنا وستيف هو أن اللوبي كان ناجحًا جدًا في السيطرة على الخطاب وضبطه، وكان بالتأكيد ناجحًا في التأثير في السياسة ودفعها في الاتجاه الذي يريده. أما الحجة التي يطرحها كتاب كليفتون ـــ لوستيك فهي مختلفة جدًا. **فهما يقولان إن اللوبي فقد قدرته على السيطرة على الخطاب، لكنه لم يفقد قدرته على السيطرة على السياسة.** وهنا ترون تحولًا جوهريًا بين كتابنا وكتابهم،

وهذا التحول يتعلق تحديدًا بالخطاب. دعوني أعطيكم فكرة عن الكيفية التي أرى بها الخطاب قد تغيّر منذ أن كتبنا كتابنا عام 2007، والمقال قبل ذلك في عام 2006.

عندما كتبنا الكتاب، كان من شبه المستحيل الحديث عن «الولاء المزدوج». وحتى إذا تحدثت عن الولاء المزدوج، كان عليك أن تتعامل مع المسألة بحذر شديد وبمنتهى التحفُّظ. فقد كان هذا موضوعًا شديد الحساسية. أما إذا نظرت إلى الخطاب اليوم، فستجد أن الناس لا يتحدثون فقط عن أفراد لديهم ولاء مزدوج، بل يتحدثون أيضًا عن «إسرائيل أولًا» أو عن أشخاص يضعون إسرائيل أولًا. فعبارة «إسرائيل أولًا» أوIsrael Firster ، أي الشخص الذي يقدّم مصالح "إسرائيل" على مصالح الولايات المتحدة، أصبحت مصطلحًا يُستخدم طوال الوقت. وفي الواقع، يُشار إلى عدد من اليهود الأميركيين البارزين المؤيدين لـــ "إسرائيل" بوصفهم من أنصار «إسرائيل أولًا.« وهذه حجة لم يكن أحد، بما في ذلك أنا وستيف، يرغب في طرحها عامي 2006 أو 2007.

لكن الخطاب تغيّر الآن إلى درجة أصبح فيها من الممكن طرح مثل هذه الحجة. خذوا ما يحدث في غزة على سبيل المثال. لقد بذل اللوبي و"إسرائيل" جهودًا هائلة للقول إن ما يفعله الإسرائيليون ضد الفلسطينيين في غزة ليس إبادة جماعية. وقد أصدر مركز للدراسات اليهودية في جامعة براندیز مؤخرًا تقريرًا يُظهر أن 74 في المئة من طلاب الجامعات يعتقدون أن ما تفعله "إسرائيل" ضد الفلسطينيين في غزة هو إبادة جماعية. وهذا أمر لافت للغاية، ويمثل دليلًا على أن اللوبي فقد قدرته على السيطرة على الخطاب.

وبالطبع ترون هذا أيضًا لدى أشخاص مثل تاكر كارلسون وكانديس أوينز وغيرهما. ولا شك في أن الخطاب اليوم مختلف جذريًا عما كان عليه في عامي 2006 و2007. أما فيما يتعلق بالسياسة، فلا شك، كما يوضح إيان وإيلي، وكما أوضحنا أنا وستيف، في أن اللوبي لا يزال يحتفظ بقبضة شديدة على السياسة الأميركية في الشرق الأوسط. والقضية التي يطرحانها، وهي قضية شديدة الأهمية والإثارة، هي ما إذا كان من الممكن الاستمرار في وضع تفقد فيه "إسرائيل" سيطرتها على الخطاب، ويتحدث فيه الناس في المجال العام عن "إسرائيل" بطرق تتناقض بوضوح مع السياسة الأميركية تجاهها.

بعبارة أخرى، يصبح من الصعب جدًا الحفاظ على «علاقة خاصة» مع "إسرائيل"، تُقدَّم فيها لها مساندة غير مشروطة، في وقت ينظر فيه عدد كبير من المواطنين إلى "إسرائيل" نظرة سلبية، بل وعدائية في كثير من الحالات. إذن، الرواية التي يقدمها إيان وإيلي هي أن الخطاب تغيّر بصورة جذرية منذ أن كتبنا أنا وستيف كتابنا، لكن السياسة لم تتغيّر. والآن دعونا نتحدث عن التفاصيل. دعونا نبحث فيما حدث فعليًا وأدى إلى تغيير الخطاب. وبعد ذلك سننتقل إلى الطريقة التي استجاب بها اللوبي لهذا التدهور ـ من وجهة نظره ـ في وضعه على مستوى الخطاب. وسنبحث أيضًا في الكيفية التي يعمل بها اللوبي اليوم بأقصى طاقته لضمان احتفاظه بنفوذه العميق في السياسة الأميركية في الشرق

الأوسط. بعبارة أخرى، لضمان بقاء الولايات المتحدة ملتزمة التزامًا راسخًا بتقديم دعم غير مشروط لـــ "إسرائيل". فماذا يفعل «لوبي إسرائيل» اليوم لضمان استمرار ذلك؟

دعونا نبدأ أولًا بما تغيّر، وهنا نحن نركز على الخطاب. ومع خطر أن يبدو الأمر وكأنني أروّج لنفســـي، أعتقد بالفعل أنني وستيف، من خلال مقالنا ثم كتابنا، أدينا دورًا مهمًا في فتح النقاش العام حول "إسرائيل". وبالطبع كان هناك كثير من الأشخاص الآخرين الذين كتبوا قبلنا وبعدنا، وأسهموا أيضًا في هذا المسار. لكنني أعتقد أنه لا شك في أن مقالنا ثم كتابنا ساهما في توسيع نطاق الخطاب. وأود أن أربط ذلك بظهور الإنترنت. فالإنترنت مثّل مشكلة هائلة لـــ "إسرائيل". وما يحدث هنا هو أنه في الماضـــي، قبل ظهور الإنترنت، كان الجميع تقريبًا يعتمدون على وســائل الإعلام الرئيســية للحصول على الأخبار المتعلقة بالشرق الأوسط، وبـ "إسرائيل"، وبالعلاقة الأميركية ـ الإسرائيلية. ولم يكن هناك شك في أن اللوبي كان يتمتع بتأثير عميق فيما يُقال داخل وســـائل الإعلام الرئيســـية. أما مع ظهور الإنترنت، فقد ظهرت مجموعة كبيرة من المنصات، ونمت وسائل إعلام بديلة في مواجهة وسائل الإعلام التقليدية، وأصبح من الممكن عبرها قول أشياء تنتقد "إسرائيل".

وأصـبح من الممكن أيضًـا نشـر مقاطع فيديو لما تفعله "إسـرائيل" في غزة، وهي مقاطع من شـأنها، بطبيعة الحال، أن تجعل صورة "إسرائيل" سيئة، وأن تغيّر الخطاب المتعلق بـ "إسرائيل"، وبالعلاقة الأميركية ـ الإسرائيلية، وباللوبي نفسه. ولهذا لا يمكن التقليل من أهمية الإنترنت، ولا من أهمية منصات مثل تيك توك ويوتيوب وسابستاك، في إتاحة المجال أمام انتقاد "إسرائيل". إذا كانت ذاكرتي صـحيحة، فإن بِحِزقيل درور يتحدث عن «الدول المجنونة» بوصفها دولًا تمتلك أهدافًا تكاد تكون غير محدودة، وأهدافًا عدوانية غير محدودة تقريبًا، وتكون مسـتعدة لاسـتخدام أي وسـيلة تقريبًا، مهما بلغت من الوحشية، لتحقيق تلك الأهداف غير المحدودة.

وبالطبع، كانت الحالة النموذجية التي يُســـتشـــهد بها هنا هي ألمانيا النازية. وكانت الحجة، وهي حجة لم يكن من الصـعب إثباتها، أن ألمانيا النازية كانت تمتلك أهدافًا شديدة الطموح، وكانت أهدافًا مروعة وعدوانية، كما كانت مستعدة لاسـتخدام أبشـع الوسـائل وأكثرها وحشـية لتحقيق تلك الأهداف. وكما يشـير لوسـتيك وكليفتون، كان الغرض من كتاب درور هو الدفع بالحجة القائلة إن الدول العربية المحيطة بـــ "إسرائيل" كانت «دولًا مجنونة»، وإن "إسرائيل"، بناءً على ذلك، كانت مبرَّرة في أن تفعل تقريبًا كل ما تراه ضروريًا للتعامل مع هذه الدول المجنونة. فماذا كان يمكن لـــ "إسرائيل" أن تفعل، إذا كانت محاطة بدول مجنونة، سوى أن تتعامل معها بأقصى قدر ممكن من الصلابة والقسوة؟

لكن النقطة التي يطرحها لوستيك وكليفتون هي أن ما حدث بمرور الوقت هو أن الدول العربية المحيطة بـ "إسرائيل" لم تكن هي التي اتضـح أنها «دول مجنونة»، بل "إسـرائيل" نفسـها هي التي اتضـح أنها أصـبحت «دولة مجنونة.« وهما يجادلان بأنه إذا نظرنا إلى أهداف "إسـرائيل" في الشـرق الأوسـط، وإلى التركيز على إنشـاء «إسـرائيل الكبرى»، وإلى

السعي إلى تحطيم جميع جيران "إسرائيل" الأقوياء وما إلى ذلك، ثم نظرنا إلى الوسائل التي تستخدمها "إسرائيل" لتحقيق هذه الأهداف، كبدء الحروب واغتيال القادة وغير ذلك، فإننا نرى بوضوح شديد، وفق روايتهما، أن "**إسرائيل" أصبحت دولة مجنونة. وهذه الحجة تُعرض بتفصيل كبير، وهي حجة قوية جدًا.**

وإذا فكرتم في الأمر، فإن هذا السلوك يعكس الطريقة التي تتصرف بها "إسرائيل" هذه الأيام، أي كما لو كانت «دولة مجنونة.« وبالطبع، عندما يصبح الناس على دراية بذلك، فمن الطبيعي أن يتغير الخطاب. وهذا بالضبط ما يحدث هنا. فإذا نظرت إلى السلوك الإسرائيلي، وربطته بحقيقة أن هذا السلوك أصبح واضحًا أمام أعداد كبيرة جدًا من الناس في الغرب، وفي الولايات المتحدة على وجه الخصوص، فلا يعود مستغربًا ما يحدث. ولا يعود من المستغرب لماذا تفقد "إسرائيل" تأييد الجمهور الأميركي. ويطرح المؤلفان أيضًا حجة أخرى مهمة جدًا، ونادرًا ما تراها مطروحة في الإعلام الأميركي، وهي جديرة بأن نتوقف عندها قليلًا. وتتعلق هذه الحجة بكيفية رؤية إسرائيل لنفسها، أي بالهوية الإسرائيلية.

ويشير المؤلفان إلى أن المسألة لا تتعلق بالهوية الإسرائيلية فقط، بل أيضًا بالهوية التي يتبناها عدد من اليهود الأميركيين. عندما كنت أصغر سنًا، وفي المرة الأولى التي ذهبت فيها إلى "إسرائيل"، وأعتقد أن ذلك كان عام 1978، كنت أعتقد أن "إسرائيل" تسعى إلى أن تصبح ما كان يُسمى آنذاك «دولة طبيعية.« أي أن "إسرائيل" ستصبح مجرد دولة قومية أخرى، ترتبط ارتباطًا وثيقًا بالغرب، لكنها تظل دولة طبيعية. وأتذكر عندما ذهبت إلى "إسرائيل" عام 1978 أن أحدهم أخبرني بأنه عندما اتضح وجود عدد ملموس من البغايا الإسرائيليات، رأى كثير من الإسرائيليين في ذلك أمرًا إيجابيًا، لأنه كان يدل، في نظرهم، على أن "إسرائيل" أصبحت بلدًا طبيعيًا.

أي أنها أصبحت مجرد دولة قومية أخرى. فاليهود حصلوا أخيرًا على دولتهم الخاصة، تمامًا كما أن للفرنسيين دولتهم، أو لليابانيين دولتهم. لقد أصبح لليهود دولتهم الخاصة، وكانت مجرد دولة قومية أخرى على هذا الكوكب. لكن إيان وإيلي يشيران إلى أن هذا ليس سوى تيار واحد داخل التفكير اليهودي، أو لنقل داخل التفكير الإسرائيلي، إذا أردنا استخدام هذا التعبير. إنه مجرد تيار واحد في التفكير الإسرائيلي اليوم. وهناك تيار آخر، وله تاريخ غني، ويقوم أساسًا على فكرة أن اليهود، بوصفهم أمة، «يسكنون وحدهم ولا يُحسبون بين الأمم.« فكروا فقط في دلالة هذه اللغة: اليهود ليسوا أمة طبيعية، بل سيسكنون وحدهم، منفردين، ولن يُحسبوا بين الأمم. إذن، نحن هنا لا نتحدث عن مجرد دولة قومية طبيعية.

ويشير المؤلفان أيضًا إلى أن جزءًا من هذه الرؤية للعالم، وهي على النقيض تمامًا من الرؤية التي تعتبر "إسرائيل" دولة طبيعية، يقوم على القول إن "إسرائيل" دولة استثنائية جدًا، وإنها "ستسكن وحدها". وترتبط بذلك الفكرة الكاملة القائلة: العالم ضدنا. إنهم يريدون النيل من اليهود، ويريدون النيل من "إسرائيل". وفوق ذلك، وهذه عبارة يستخدمها المؤلفان في الكتاب، فإن الاعتقاد وفق هذه الرؤية الثانية هو أن غير اليهود جميعًا، أي كل غير اليهود، هم "نازيون

محتملون." والنقطة التي يطرحها إيان وإيلي هي أنه إذا نظرنا إلى بيانات استطلاعات الرأي المتعلقة بما يجري داخل "إسرائيل"، يتضح جدًا أن هذه الرؤية الثانية، أي أن "إسرائيل" «ستسكن وحدها» وأن العالم ضدها، قد ترسخت بصورة جدية.

وإذا كان هناك اتجاه مرجح، فهو أن هذه النظرة للعالم ستصبح أكثر قوة في السنوات المقبلة. وهذا يذكّرني بأمر كثيرًا ما أتساءل عنه: لماذا لا يشعر الإسرائيليون بقلق أكبر حيال حقيقة أنهم نفّروا هذا العدد الكبير من الناس حول العالم، وألحقوا هذا القدر الكبير من الضرر بسمعة "إسرائيل"؟ إذا فكرنا في الحجة التي يطرحها إيان وإيلي، يصبح الأمر مفهومًا تمامًا. فمع تنامي قوة هذا التصور الثاني للهوية الإسرائيلية، نستطيع أن نفهم لماذا لا يهتم الإسرائيليون كثيرًا بما يعتقده الآخرون بشأن سلوكهم، لأنهم يتوقعون أصلًا أن تكون الدول الأخرى، والدول القومية الأخرى، والشعوب الأخرى، ضدهم. فهكذا يعمل العالم، وفق هذه النظرة.

إذن الحجة هنا هي أن ما يجري لا يقتصر على حدوث تغير جوهري في إحساس "إسرائيل" بهويتها الذاتية. ومرة أخرى، يمتد هذا إلى الطريقة التي يفكر بها عدد من اليهود الأميركيين في أنفسهم، وفي اليهود داخل العالم. لأن المؤلفين، مرة أخرى، يجادلان بأن هذا النمط من التفكير أثر في بعض اليهود الأميركيين، وليس في الإسرائيليين فقط. إذن لدينا هذه الظاهرة من جهة. وفي الوقت نفسه، تتصرف "إسرائيل" بطرق وحشية في أماكن مثل غزة والضفة الغربية. وكل ذلك يحدث في عصر الإنترنت. ونتيجة اجتماع كل هذه العوامل، فإن وضع "إسرائيل" على مستوى الخطاب العام قد تدهور بشدة.

فالفكرة التي كانت سائدة عندما كتبنا أنا وستيف مقالنا ثم كتابنا، وهي أن غالبية الأميركيين لديهم نظرة إيجابية إلى "إسرائيل" ونظرة إيجابية إلى العلاقة الأميركية ـــ الإسرائيلية، تغيرت بصورة جذرية. واليوم أصبحت غالبية الأميركيين، بحسب ما يقول، تحمل نظرة سلبية إلى "إسرائيل". وإذا كان هناك اتجاه مرجح، فهو أن هذا الوضع سيستمر في التغير، ولا سيما بالنظر إلى أن "إسرائيل"، وفق لوستيك وكليفتون، أولًا لا تهتم كثيرًا بما يفكر فيه بقية العالم، وثانيًا تشعر بأنها حرة أساسًا في أن تفعل ما تشاء في أماكن مثل غزة وسوريا ولبنان، وبالطبع في الضفة الغربية أيضًا. إذن فقدت "إسرائيل" السيطرة على الخطاب، وكذلك فقد اللوبي السيطرة على الخطاب، لكل هذه الأسباب. ومن غير المرجح أن يتغير هذا الوضع.

لكن كما قلت لكم سابقًا، عندما ننتقل إلى السياسة الفعلية، نجد أن السياسة لم تتغير. فالولايات المتحدة لا تزال ملتزمة بقوة بدعم "إسرائيل" دعمًا غير مشروط. ولا يكاد يوجد شك في ذلك. إذن نحن اليوم أمام وضع يصفه إيلي وإيان ببراعة، حيث أصبحت السياسة والخطاب غير متزامنين، أي يسيران في اتجاهين مختلفين. ومن هنا يأتي السؤال: ماذا يفعل اللوبي، أولًا، لمحاولة إصلاح وضعه على مستوى الخطاب، أو لمعالجة المشكلة التي يواجهها في هذا المجال؟

وثانيًا، ماذا يفعل للتأكد من ألا يحدث، في المستقبل، أي تغيير في السياسة الأميركية تجاه "إسرائيل"، وأن يستمر اللوبي و"إسرائيل"، بالعمل معًا، في الحفاظ على قبضتهما القوية على السياسة الأميركية؟

لنبدأ بالخطاب. فيما يتعلق بالخطاب، هناك في الواقع أمران يجريان هنا، ويصفهما المؤلفان بتفصيل كبير. الأول يتعلق بتعريف معاداة السامية. عندما كتبنا أنا وستيف كتابنا عام 2007، كان هناك فهم واسع إلى حد كبير لمعنى معاداة السامية. لكن ما حدث بمرور الوقت هو أن تعريف معاداة السامية اتسع بدرجة كبيرة. واليوم، يتبنى اللوبي وكثيرون غيره، بفضل قدرة اللوبي على نشر هذه الفكرة، تعريفًا فضفاضًا جدًا لمعاداة السامية. وهو تعريفIHRA التحالف الدولي لإحياء ذكرى الهولوكوست(International Holocaust Remembrance Alliance) وهو تعريف واسع جدًا، وما يعنيه عمليًا، وفق ميرشايمر، هو أن انتقاد "إسرائيل" يمكن أن يُنظر إليه بوصفه معاداة للسامية. وبالتالي، فإن أي شخص ينتقد "إسرائيل" بسبب ما يصفه بالإبادة الجماعية في غزة، أو بسبب سلوكها الوحشي في أماكن مثل الضفة الغربية، يمكن أن يُقال عنه، وفق هذا التعريف، إنه معادٍ للسامية.

إذن ما حاول اللوبي القيام به، عبر استخدام تعريف IHRA لمعاداة السامية، هو جعل انتقاد "إسرائيل" شبه مستحيل من دون أن تضع نفسك في موقع قد تُلصق بك فيه تهمة معاداة السامية. وعندما كتبنا أنا وستيف والت كتابنا، كان لدينا فصل بعنوان "المُسكِت الأكبر (The Great Silencer) " وتحدثنا في ذلك الفصل عن كيفية استخدام تهمة معاداة السامية بوصفها «المُسكِت الأكبر.« وبالطبع فإن إيلي وإيان يتحدثان عن الأمر نفسه تمامًا. وهما يتناولان تعريف IHRA ، الذي أصبح جزءًا بالغ الأهمية من القصة، في حين لم يكن جزءًا منها عندما كتبنا كتابنا.

أما التطور الثاني فهو أن اللوبي استخدم الحكومة لقمع كل من ينتقد "إسرائيل". وأفضل مثال على ذلك هو الاحتجاجات التي اندلعت في عدد كبير من حُرُم الكليات والجامعات في الولايات المتحدة في ربيع عام 2024. تذكروا أنه بعد 7 أكتوبر/تشرين الأول 2023، وبعد هجوم حماس داخل "إسرائيل"، انتقلت "إسرائيل" إلى الهجوم، وانتهى بها الأمر لاحقًا إلى تنفيذ إبادة جماعية. ولذلك لم يكن مستغربًا أنه بحلول ربيع عام 2024 ظهرت احتجاجات واسعة النطاق، إن لم نقل ضخمة، في حُرُم الجامعات في مختلف أنحاء الولايات المتحدة. السبب الرئيسي هو الإنترنت. ففي عصر الإنترنت أصبح من شبه المستحيل السيطرة على الخطاب بالطريقة التي كان اللوبي قادرًا على ممارستها قبل ظهور الإنترنت.

ثم هناك مسألة السياسة. ما الذي يجري على مستوى صنع السياسة؟ هنا يقدم كليفتون ولوستيك رواية شديدة الأهمية. في البداية، يتحدثان عن تنامي حكم الأثرياء أو «البلوتوقراطية» في الولايات المتحدة، أي حقيقة وجود عدد كبير من الأثرياء شديدي النفوذ، وبعضهم من اليهود، وهؤلاء الأثرياء اليهود مستعدون لإنفاق مبالغ هائلة من المال للتأثير في الانتخابات، سواء على مستوى انتخابات الكونغرس أو الانتخابات الرئاسية. ولا يقتصر الأمر على أننا أصبحنا أمام طبقة من كبار الأثرياء تضم يهودًا أثرياء ملتزمين بشدة تجاه "إسرائيل"، بل حدث أيضًا تطور آخر تمثل في قرار

أصـــدرته المحكمة العليا عام 2010. وهو قرار Citizens United ، الذي أتاح عمليًا للأفراد، أي لهؤلاء الأثرياء شديدي النفوذ، أن ينفقوا مبالغ تكاد تكون غير محدودة على انتخابات الكونغرس والانتخابات الرئاسية.

وهكذا نصـل إلى وضـع نجد فيه شـخصًـا مثل ميريام أديلسـون، التي تحمل الجنسـيتين الإسـرائيلية والأميركية، والتي، بحسب دونالد ترامب، تُعرّف نفسها بصورة أوضح مع "إسرائيل" أكثر مما تفعل مع الولايات المتحدة، وقد قدمت له مبلغًا هائلًا من المال ســـاعده في إعادة انتخابه عام 2024. وبالطبع، لم تكن ميريام أديلســـون الثريّة اليهودية الوحيدة التي دعمت دونالد ترامب. لكن النقطة الأعم هي أن لدينا في الولايات المتحدة نظامًا سياسيًا تحتاج فيه إلى الكثير من المال لكي تُنتخب، وتحتاج إلى الكثير من المال لكي يُعاد انتخابك. وإذا كان لديك أثرياء قادرون على إنفاق مبالغ غير محدودة لمساعدة المرشحين الذين يرون أنهم مؤيدون لـــ "إسرائيل" على الفوز، وقادرون في الوقت نفسه على المساعدة في هزيمة المرشحين أو شاغلي المناصب الذين يرون أنهم معادون لـــ "إسرائيل"، فستصل بسرعة إلى وضع يخشى فيه معظم أعضاء الكونغرس، وكذلك جميع الرؤساء تقريبًا، من تحدي اللوبي، وبالتالي سيفعلون إلى حد بعيد ما يريده.

ونرى ذلك مع دونالد ترامب، كما رأيناه مع جو بايدن. ونراه مرة أخرى مع ترامب: من يجرؤ على تحدي اللوبي؟ وبالطبع، كان هذا أمرًا قائمًا منذ زمن طويل في الســـياســـة الأميركية. لكن الســـبب اليوم هو أن لديك هؤلاء الأثرياء شـديدي الالتزام تجاه "إسـرائيل"، والقادرين على إنفاق مبالغ غير محدودة تقريبًا بسـبب قرار Citizens United الذي أصدرته المحكمة العليا عام 2010.

إذن الخلاصـة هي أنه منذ أن كتبنا أنا وسـتيف كتابنا، تغيّر الخطاب حول "إسـرائيل" تغيرًا جذريًا. وكما قلت من قبل، يعود ذلك بدرجة كبيرة إلى الإنترنت، مقترنًا بسلوك "إسرائيل" وبالطريقة التي تنظر بها "إسـرائيل" إلى نفسـها. وقد أدت هذه العوامل مجتمعة إلى هذا التحول الأساسي في الخطاب. لكن السياسة لم تتغير. فاللوبي لا يزال قادرًا على التأثير في السياسة بطريقة تضمن استمرار الولايات المتحدة في تقديم دعم غير مشروط لـــ "إسرائيل". وهنا يبرز السؤال الكبير للمستقبل، وهو السؤال الذي ربما سيكتب عنه بعد عشرين عامًا من يخلفون كليفتون ولوستيك: إلى أي مدى سينجح اللوبي، خلال الســـنوات المقبلة، في الحفاظ على دعم "إســـرائيل"، وعلى دعم واضـــح وغير ملتبس لها على مســـتوى السياسة الرسمية، في وقت تراجع فيه التأييد الشعبي لـ "إسرائيل" بصورة كبيرة؟

هذا هو بالفعل السؤال الكبير للمستقبل. وهذا لم يكن سؤالًا واجهناه أنا وستيف عندما كتبنا كتابنا. وأريد أن أؤكد ذلك مرة أخرى. عندما كتبنا أنا وستيف، كان اللوبي يسيطر إلى حد بعيد على الخطاب، وكان يسيطر أيضًـا إلى حد بعيد على السياسة. لكن هذا تغيّر. لقد فقد اللوبي قدرته على السيطرة على الخطاب. ومرة أخرى، ما ينبغي التفكير فيه في المرحلة المقبلة هو: ما الأثر الذي سيتركه ذلك في السياسة، وتحديدًا في السياسة الأميركية تجاه "إسرائيل" خلال السنوات المقبلة؟